

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

البقرة (4)

معاني الكلمات :

{يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} : يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة.

{وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} : ويصدقون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل من قبلك؛ كالتوراة والإنجيل والزبور.

{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} : وبالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} وهو القرآن والسنة، قال تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} فالمتقون يؤمنون بجميع ما جاء به الرسول، ولا يفرقون بين بعض ما أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ولا يؤمنون ببعضه، إما بجده أو تأويله، على غير مراد الله ورسوله، كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم، بما حاصله عدم التصديق بمعناها، وإن صدقوا بلفظها، فلم يؤمنوا بما إيماناً حقيقياً.

وقوله: {وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يشمل الإيمان بالكتب

السابقة، ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسول وبما اشتملت عليه، خصوصاً التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصة المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم. ثم قال: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} و "الآخرة" اسم لما يكون بعد الموت، وخصه [بالذكر] بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل، و "اليقين" هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

من ثمرات الإيمان بالكتب السماوية-

1- أنه يمنح المؤمن الشعور بالراحة والطمأنينة، وذلك بمعرفته أن الله سبحانه قد أنزل على كل قوم من الشرائع ما يناسب حالهم، ويحقق حاجتهم، ويهديهم لما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا} (المائدة: 48) فإذا كان المؤمن على بينة من هذه السنة الإلهية ازداد إيماناً مع إيمانه، وبقيناً فوق يقينه، فيزداد حباً لربه ومعرفة له وتعظيماً لقدره، فتطلق جوارحه عاملة بأوامر الله، فتتحقق الغاية العظيمة من الإيمان بالكتب - وهي العمل بما فيها - فينال ثمرة هذا الإيمان سعادة في الدنيا وفوراً في الآخرة.

2- اتفاق الكتب السماوية على رسالة التوحيد وتقرير أصول الإيمان، ونبذ الشرك والتحذير من مسالكه وذكر عاقبة الفريقين نبيه على أهمية العقيدة، وبيان لوحدة الرسالات في الأصول والأهداف، ليعلم المؤمن أن الغاية واحدة، والمنبع واحد، والدين واحد مهما اختلفت مسمياته، وهو دين الإسلام، قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران: 19) والإسلام هنا بمعناه العام من المعتقد والقيم الثابتة، وفي هذا الإطار نجد أن الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً، ويؤكد اللاحق منها ما قرره السابق، وهذا التصديق مذكور في عدد من آي القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {وَقَفِينَا عَلَى آثارهم بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} (المائدة: 46)

3- فيما عدا الأصول تختلف الكتب السماوية في الشرائع والأحكام، والتمرة التي يجنيها المسلم من إدراك ذلك استجلاء الحكمة الإلهية الشاملة حيث جعل لكل قوم ما يناسب زمانهم ومكانهم وطباعهم، قال تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا} (المائدة: 48).

4- إنزال الكتب السماوية إظهاراً لعظمة الأنبياء الذين اختصهم الله تعالى بهذه المزية، فتظهر فضيلة إبراهيم عليه السلام بالصحف، وموسى عليه السلام بالتوراة، وعيسى عليه السلام بالإنجيل، وداود عليه السلام بالزبور، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

5- يستلزم الإيمان بالكتب السماوية الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلاً على وجه الحقيقة مع من يشاء من خلقه، بعيداً عن تأويل المبطلين وجفاء الغالين وانحراف كل من نفى صفة من صفات الباري أو عطّلها، فإنه سبحانه وصف وحيه لموسى عليه السلام بقوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (النساء: 164).

6- إظهار نعمة الله العظيمة على هذه الأمة حيث جعل كتابها المنزل عليها مشتملاً على إرث الكتب السابقة، فكل ما فيها من نور وهدى، وخير وصلاح، وحكمة ورشاد، فللقرآن منها نصيب وافر وزيادة فضل، وهذا من التورث المذكور في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: 32).

7- الإيمان بالكتب السماوية، وهو أن من شرائع الدين ما لا يسعنا فيه إلا الإيمان الجمل دون أن نتكلف في التطلع إلا ما لا نعلمه من حقائقها وتفصيلاتها.

8- إنزال كتب سماوية في العصور السابقة تثبيتاً لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن حوله من المؤمنين بأنهم على الحق المبين.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (4)



فوائدها من سورة البقرة

الآية 4

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

الفوائد :

- 1- أن الإيمان الكامل بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وما أنزل عليه من شرائع يتقاضى المؤمن أن يكون مؤمناً بكل النبيين السابقين وشرائعهم.
 - 2- أن من أوصاف المتقين الإيمان بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله.
 - 3- أن من أوصاف المتقين الإيقان بالآخرة على ما سبق بيانه في التفسير..
 - 4- أهمية الإيمان بالآخرة؛ لأن الإيمان بما هو الذي يبعث على العمل؛ ولهذا يقرن الله تعالى دائماً الإيمان به عز وجل، وباليوم الآخر؛ أما من لم يؤمن بالآخرة فليس لديه باعث على العمل؛ إنما يعمل لديناه فقط: يعتدي ما دام يرى أن ذلك مصلحة في دنياه: يسرق مثلاً؛ يتمتع بشهوته؛ يكذب؛ يغش...؛ لأنه لا يؤمن بالآخرة؛ فالإيمان بالآخرة حقيقة هو الباعث على العمل..
 - 5- إن المؤمن بقاء الله (عز وجل) يوم الفزع الأكبر، لا تلقاه إلا حريصاً على أعماله، خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، فتصير هباءً منثوراً، والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء، والعجب.
 - 6- إذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائماً على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكثر بزهرتها، ولا يحزن على فوائدها.
 - 7- التزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات واجتناب المعاصي والمبادرة بالتوبة والاستغفار.
 - 8- اجتناب الظلم بشئ صورته.
 - 9- الفوز برضا الله (سبحانه) وجنته، والنجاة من سخطه والنار.
- والله اعلم....
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

- 9- أن الله سبحانه وتعالى أوكّل حفظ الكتب السابقة لأتباع الأنبياء من الأحرار والرهبان، في حين أن الله تعالى تولى حفظ الكتاب بنفسه فقال: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر: 9) وكان موقف المسلمين من كتابهم مغايراً للأمم السابقة فحفظوا القرآن بالصدور والسطور حتى ما عاد هناك مجال للتبديل والتغيير فيه.
 - 10- تتضمن الكتب السماوية السابقة شيئاً من البشارات الباقية بنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - لتكون دليلاً على صدقه وبعثته.
 - 11- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.
 - 12- شكر نعمة الله تعالى على ذلك.
- ### ثمرات الإيمان باليوم الآخر
- 1- إن معرفة ذلك (اليوم) حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب.
 - 2- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم واليعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
 - 3- تسليّة المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
 - 4- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده.
 - 5- أن الإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب يمنع الإنسان من السقوط في غوايات الشيطان وأحباله المهلكة. فعلى قدر إيمانك باليوم الآخر على قدر بعدك عن سبيل إبليس اللعين.
 - 6- إن في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثراً واضحة وثماراً طيبة، لا بد أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه، وفي حياته كلها، ولكن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر ومجاهدة الشهوات والعوائق.